• بقلم قاسم حول

اللغة بين الرواية وفيلم «السكين»

بالرغم من غنى لغة السينما وامكاناتها التعبيرية فان الرواية تبقى متفوقة على السينما بنقطتين لم تستطع السينما تحقيقهما : الاولى حرية القارىء بالتوقف والتأمل ، والثانية امكانية التعبير من قبل المؤلف عن احاسيس الشخوص ذاتيا وعن ذاته موضوعيا ، بما يحيطه من اشياء وما وراه من علاقات لا يستطيع الفلم الحساس تسجيلها لكونها احاسيس داخلية بحتة .

ولقد سعى الكثير من كبار المخرجين الى ايجاد وسائل تعبيرية والاستعانة بقدرات الممثلين في عكس احاسيسهم الا انهم لم يتوصلوا الى امكانات الروائي البارع في هذا المضمار، فالقارىء الذي يختار الرواية والوقت للتمتع بها يتوقف عند اية لمحة ابداع وينطلق من خلالها فتمنحه هذه الحالة معنى لاختياره وحريته ، في حين ان تلاحق اللقطات في السينما والتي لا تتجاوز الثواني عادة يقتل عنده حرية التأمل والانفعال الآني ، لذلك فان اغلب افلام السينما ان لم نقل جميعها والتي اقتبست من روايات ادبية لم تتفوق على النص مهما بلغت قدرة ذلك المخرج وامكاناته .

جاء في حديث لـ « فسكونتي » المخرج الايطالي المعروف عندما سئل عن رأيه في رواية « بحثا عن الزمن المفقود » ـ اتمنى ان يغفر لي الفرنسيون تهوري .. فهذه الرواية التي اعجبتني بشدة لـ (بروست) لا تقبل عذرا ، ولكني احب لو اتيح لي اخراج هذه الرواية ان اعطي للمشاهد الذي حيره هذا العمل الشامخ فكرة جريئة عن جماله .

ويضيف ..

ـ انني اقيس مدى الصعوبة في هذه المناسبة لكن ، لا يجب مهاجمتي قبل اتمامي لهذا العمل .. فاذا فشلت تجربتي فامل ان تقدروا جراتي، واذا نجحت التجربة فستكون بالنسبة لي اجمل نجاح .

ان هذا لا ينطبق على فسكونتي وبروست ، بل هو الحلقة المفقودة بين جميع الروائيين والسينمائيين المبدعين ، وليس ظهور القصة السينمائية الا شكلا سهلا من اشكال الاعمال الادبية المتعاونة مع السينما ، فالقاص السينمائي لا يجهد نفسه في توكيد المعاني والاحاسيس لانها تصبح غير ذات جدوى بالنسبة لعمله ، وحيث يلقي تبعة الاحاسيس والتفسيرات على مخيلة المخرج لتنفيذها ضمن امكانات الكاميرا والممثل والشريط الحساس .

وحديثنا هنا عن الفيلم السوري « السكين » للمخرج خالد حمادة عن قصة « ما تبقى لكم » لغسان كنفاني .

« السكين » هو الفيلم الروائي الثالث للمؤسسة العامة للسينما في سوريا بعد « سائق الشاحنة » ـ بوشكوفوتشينتش، مخرج يوغسلافي ـ و « رجال تحت الشمس » ـ ثلاثية لمحمد شاهين ، مروان مؤذن ، ونبيل المالح الفيلم الحائز على الجائزة الفضية لعام ١٩٧٠ ـ مهرجان قرطاج ـ . ولان السينما في سوريا من خلال برنامج المؤسسة تسير وفق خط فكري واضح ذي سمة تقدمية ، فانها تسعى دائما لانتقاء موضوعات ضمن هذا الخط ، وكان هذا واضحا ايضا من خلال الافلام القصيرة التسجيلية منها والتجريبية والتي جاوزت الاربعين فيلما منذ عام ١٩٦١ حتى الان ، فقد جاء انتقاء رواية « ما تبقى لكم » موفقا ضمن هذا الخط .

كتب غسان كنفاني هذه الرواية بلغة تقرب من لغة السينما في بنائها الدرامي ، دون ان يخسر لغة الرواية في التعبير عن دواخل الشخوص وتناميها عبر الاحداث ، وقد جاءت بلغة سهلة عميقة ومشوقة معتمدة على التداعي الحاصل في ذهن حامد واخته مريم ليلة رحيل حامد من غزة الى عمان .

حامد ومريم شخصيتان من الشخوص الثلاثة في الرواية ، وحيث تشكل الشخصية الثالثة (زكريا) نقطة التأزم دائما والمفتاح الذي سهل توضيح التراكمات والانفعالات والتاريخ الشخصي لكل من مريم وحامد .. ويعتبر المؤلف ان شخوص روايته خمسة ، فالصحراء والساعة شخصيتان تؤثران على الاحداث وهما جزء منها ، كما ان لهما دلالات رمزية بفعل وبعلاقات واقعية . فالصحراء ، الطريق الموصل بين غزة وعمان ، انما هي التيه والضياع المدمر وهي الفراغ الذي يداهم حامد في فقدانه لامه التي تعيش في عمان وتعلقه باخته (!!) لعدم انغماره بعلاقات نسائية تبعثر توتره وانفعالاته ، اذ عندما لا تتوفر المراة فان الرجل يزداد حنوا على امه ويكثر تعاطفه مع اخته ، ويود لو يرتمي باحضانهما ، فاذا ما عرفنا حامد الشاب النقي والمتردد والذي يعيش ضمن مجموعة من التناقضات ، لم يرتبط بعلاقة مع فتاة ، نجده هاربا بعدما اقترنت اخته بزكريا وقد استنتج زكريا هذا (.. هذا الصغير لا يطيق سماع صوتي ، انا اعرفه ، يفضل ان يقتلك على ان يراك مع اي رجل ، فكيف اذا كان زكريا هو ذلك الرجل ؟) .. اما مريم التي تراقب وتتحسس معاناة زكريا فانها هي الاخرى تعاني تمزقا وتناقضا بانفعالاتها (.. لقد كان دائما رجلا رائعا ، ولكنه لم يكن ابدا الا اخي .. ومرور الزمن لم يكن يعني لديه شيئا فيما كان بالنسبة لي موتا يعلن عن نفسه كل يوم مرتين على الاقل . بالنسبة له كنت اتحول كل يوم الى مجرد ام ، وكان يتحول كل يوم بالنسبة لي الى رجل محرم . ولم يدرك قط طوال عمره انلحظة ارتطام واحدة مع رجل حقيقي ستودي بنا معا »

اما الساعة التي جلبها حامد الى البيت بعد ان سرقها فان وجودها الذي يعيد الى ذهن مريم موجود حامد والاخرين فان لها دلالة ترتبط بالزمن (.. وحين ماتت خالتي ماتت على سريره .

ويخيل الي الان انه قصد الى ذلك قصدا ، فحين كانت طريحة مرضها الاخير قرر فجاة ان ينقلها من الغرفة الاخرى الى سريره ، ولم يقل قط لماذا ، وقد ماتت هناك بعد ان دقت الساعة دقة واحدة ، في الليل . احسست بذلك تماما، فقد بدت تلك الدقة الوحيدة ، المبتورة والقاسية ، بدت لنا جميعا خطوة اخيرة) .

وحين داهم فراغ الصحراء (حامد) انتزع ساعته من يده ورماها احساسا منه بتداخل الوقت ولا محدوديته .

سينمائيا حاول المخرج خالد حماده ان يتناول هذه العلاقات ويقدمها عبر وسائله الى المتفرج و (ضمن الامكانات المتوفرة) فاذا ما عرفنا ان شخوص الرواية قد رسمت بدقة ووضوح فان ذلك يساعد الممثلين دون شك على تقمص شخصيات الرواية .. وان عملا كالسكين يعرف كل من يطالع « ما تبقى لكم » ضرورة توفر ممثلين متمكنين لانهم يشكلون في هذا العمل بالذات ركنا اساسيا من اركان العمل السينمائي اذ لم يتوفر لهذا العمل ممثلون بمستوى وضوح الشخوص واحزانهم وتمزقهم .. ومحاولة استدعاء الممثلة المصرية سهير المرشدي كان خيبة امل (عظيمة !!) فرقت كل احاسيس (مريم) وامانيها . اما رفيق السبيعي فهو رغم توفر امكانات ذاتية جيدة حاول منحها لشخصية (زكريا) الا ان مقابلة سهير المرشدي له طوال المشاهد قد هدم عطاءه في حين بزغت بين حين واخر التماعات (بسام لطفي) دون ان تأكد في مسيرة الشخصية خلال الفيلم ، لكن تلك الالتماعات الصغيرة اكدت بوضوح كونه موهبة ممثل السينما المتفوق . اما الصحراء والساعة اللتين اقتنعت من خلال الرواية اصالتهما كشخوص الى شخصيات الرواية فالمخرج وحده مسؤول عن عدم اداءهما البارع في الفيلم !!

مع هذا « فالسكين » يبقى على العموم فيلما صادق (المبادرة) وجاد التطلع وكنا نريد من مخرجه عطاء اكثر تماسا باحساس التفرج من خلال التوغل عبر دواخل الشخوص وعبر وجودها الرومانسي الذي اضفت احزان المدينة المسيجة بالبنادق والاسلاك الشائكة حزنا اخر اعطى رومانسيتها مسحة عصرية يمكن ان تشد المشاهد سينمائيا لو احسن الاستفادة منها .

حاول المخرج محاولات جادة ومخلصة للاستفادة من امكانات العمل الروائي (دون ان يستنفذه) فقد اعتمد مثلا على لغة التداعي ضمن خطين متوازيين يتداخلان احيانا بتلقائية بالغة ، لكنه سلك سلوكا توفيقيا بين اصالة العمل الفني وتوحده وبين رغبته في ان يكون العمل قريبا الى ذهن المتفرج ظنا منه ان ابداء مزيد من (السهولة السينمائية التقليدية) يخدم توطيد العلاقة بين الفيلم والجمهور .. واذا كان المخرج قد نجح في البناء الدرامي للسكين فانه توصل الى اغتيال الخيانة داخليا وخارجيا، ففي الوقت الذي تطعن فيه مريم زكريا بالسكين يكون حامد قد طعن (الجندي الاسرائيلي) . ولو ان تواقع الاثنين كانت ذاتية بحتة الا ان تأكيد المخرج على خيانة زكريا واعادة المشهد عبر الفيلم بتوقيت جيد قد دفع بالحدث الاخير ابعادا واعطاها بعدا جديدا وحدا واضحا .. وعبر كل هذه المشاهد كانت بصمات المونتير ـ قيس الزبيدي ـ واضحة وجديرة بالاعجاب .

ان كل ناقد سينمائي بعدما يغادر الصالة ويسأل عن رأيه بالفيلم المقتبس عن رواية ادبية يقول : « لقد تمتعت بالرواية اكثر » ، هذا شأني مع فيلم السكين .

بسام لطفي
(حامد)

قرار جنود الكومونة

لانكم تتوقعون ضعفنا ، تسنون
القوانين التي تجعل منا عبيدا ،
قوانين لن تطبق في المستقبل
اذ اننا نتوقع ان لا نبقى عبيدا .
ولاننا نتوقع انكم آنذاك ستهددوننا
بالبنادق والمدافع قررنا ان نخاف
الحياة التعسة
اكثر مما نخاف الموت .
ولاننا نتوقع ان نستمر على حياة الكلاب
التي نعيشها ،
اذ صبرنا على نهبكم لنا وجدنا ،
ان مجرد زجاج نافذة ، يفصلنا عن
الخبز الجيد الذي لنا اليه عوز .
لاننا نتوقع انكم آنذاك ستهددوننا
بالبنادق والمدافع قررنا ان نخاف
الحياة التعسة
اكثر مما نخاف الموت .
ولاننا نتوقع ان الحكومة مهما وعدت
لن تفي بوعدها ،
قررنا ان نبني حياتنا الجديدة ،
بقيادتنا وانفسنا .
ولاننا نتوقع انكم تفهمون
لغة المدافع اكثر من اية لغة اخرى
توجب علينا ، وهذا امر نافع ،
ان نوجه المدافع ضدكم

برتولت بريشت
من : « ايام الكومونة »

الموت وراء النهر

مريد البرغوثي

... خلفي منفرد
... مرتين واليدين
... وجهي واليدين
... صدري وبوجهي واليدين ..
... اليكم بصدري
... النهر

... الاولى
... قنديلا وسار
... بخطوات دؤوبه
... يا محبوبتي اغمر خديك
... بقبلاتي فجاءوا
... مثل الضباب
... مرتين ،
... مرتين ،
... في حياتي
... هم قتلوني !
... اليوم وزنداي عقاب
...
... ما جف . واهداب عيوني
... التاريخ
... الشوق اليك)
... الليل فكا مقصله
... صدره الف نهار
... عشرون شمسا وقمر
... ترامت ذكريات الجلزون
... كفر قاسم
... « البقعة » السوداء رايات
على الافق البعيد
... التل يشدونا اتهالا وطبولا
... وعويلا
... في الليل شمسه
... في الصمت عرسه
... ساحة الدار تغني ميجانا
... زفة العرس بحارات المخيم
(كيف كيف يا مهند مالك زعلان
زفيناك بهية طلق الريحان)
... رصاص
... الخفق بدوي من هناك
... حمد الله « قد اجتاز الرفاق
... النهر وها هم يضربون »
... الازرق المحروق كحل في العيون
... البنادق
... ارحام البطوله
... في الخندق شيخ وجنين !
(مزقوني بالشظايا في ثراها
عدت للارض ولكن لا اراها
مزقوني .. يا بهيه ..)
... الثر
... الثر
... النيران بالزند المعفر
... انا الزند المعفر
... النيران انا نعبر النهر المجدد
...
... العمدان
... اطفال فلسطين الصغيره
...
... الطليقه
... باراناس فوقه ..
... مجموعة الصقر المعسكر
... الثر
... الثر
... رفيقي الف خنجر
... دربي ولكني اراه
... الح لي البعد وراء النهر اطفال المخيم
... لم يعرفوا لون الهدايا
... لم يعرفوا اعياد ميلاد الصغار
... باشتياق لحكايات المآب
... ودموع وعتاب
... بانتظار .

الحركة الثانية

ها هنا نحن شجيرات صفره
حلمنا غابة قدره
وخطى الاتي العظيم
مقبلا عبر الدماء
والزمن ..
يزحف الوقت ثقيلا كالهموم
ثم ينتفض لحوحا مثل خوف الامهات
كلما عاد حصان الابن وحده :
(طلت البارودة والسبع ما طل
يا بوز البارودة من الندى مبتل) !
اوقدوا التاريخ قنديلا ومروا
وخطاهم تحمل التصميم والخوف وهم الثائرين
وحنينا للمشاعل
لشفاه تلثم الجرح على الصدر المقاتل
ولحضن ساحر الدفء وقبله
ولمقلة
ترمق المحبوب ان عاد من الدرب التعيب
ولاطفال المخيم ...
آه اطفال المخيم !
خلف هذا النهر ماذا تصنعون ؟
وبهيه ؟
والجنين ؟
بعض ساعات ويولد
طفلنا الاول ساعات ويولد
(ليت ان الوقت عصفورا يحوّم
ويحوم
ثم يرتاح على غصن مورد
آه لو القاك يا حلم سنيني
لحظة زرقاء يا حبي وداري وعيوني
يا عيوني)
طفلنا الاول حقل سوف يحصد
مثلما يحصد اطفال بلادي
من غموض الغيب يأتون حقولا ثم تحصد
فاسالي ارض بلادي
اي خصب في ذراها كل عام يتجدد
اسالي سحر اخضرار الضفتين
(اننا نقتل فيها مرتين !
اننا نحيا عليها مرتين) !
استمروا
اقصفوهم ثم دمروا
واضيئوا فوق رمل البحر مصباح الخطاوي
(نحن قد نجرح صدر السنبله
غير انا نعشق الجرح المداوي ،
واذا الراية القها رياح الغزو في
عرض الطريق
نحفر الجرح الذي فينا ليكبر ،
وليعمق ،
وندق الراية الملقاة في الجرح العميق)

الحركة الثالثة

بعد اغماضة عين
يلو الدهر تواني الابتداء المنتظر
يا رفاق البذر رجوا الليل بالايدي
كما لو كان نخله
ان تهزوا جذعها المثقل هزا
تملأ الارض رصاصا وشظايا وقنابل
وصدور الثائرين السمر جوعى للثمار !
(فلترجرج نخلة الليل اياديكم وتبذر
في تراب الارض تمر الانبعاث المرتجى
وابعثوا فيه جنون الانتصار
واذا ما الصبح وافاه سننسج
من اغانينا له اكاليل غار
وتتوج
هامة الليل بتاج من نهار)
مزقوني بالشظايا في ثراها
عدت للارض ولكن لا اراها
طائر الرت على راسي هوى
(فلتداعب يا نسيم الليل شعره
وامسح الحزن الضبابي برفق عن جبينه
سواغمري بالورد والاغصان صدره
يا مناقير الحساسين وصلي لعيونه
فلقد كان حبيبا للعيون) .
.. امطر الليل شظايا
ـ انت خائف
ـ ذلك الطفل الذي ندعوه خوفا ونحبه
نلتقيه معنا
ربما اتعبنا
كلما ايقن اني خارج نحو الردى
هتفت عيناه خذني
وانا اتركه
وحده اتركه
غير ان الطفل في البال حضور لا يغيب
ربما جاء بلا اذن اليك
فاصطحبه وامش في الدرب التعيب
وستلقى انه عاد الى البيت وحيدا ويغيب
ذلك الطفل القريب
ـ يا رفيقي انها اول مره
ـ آه لو ان حصى التل قنابل
والصخور السود في الوادي مدافع
آه لو ان الاصابع
تجعل الاشياء باللمس رصاصا وبنادق
(اي بيت توقد النار ببابه
تبسط السجاد في كل رحابه
تزرع الليمون في خصب ترابه
اي منزل
سوف يحمي اثنين من قر الشتاء
ويغطي سقفه العالي جنينا سوف يقبل
اي منزل
سوف نبنيه اجيبي اي منزل ؟
قبل ان نقتل مرات كثيره) !

الحركة الرابعة

انني والموت جاران وكم يسمعني
دورة المفتاح في الباب المجاور
نتلاقى كل يوم ونسافر
في دروب كلما امتدت بعيدا
ارجعتنا في النهاية
تحت سقفين نعيش الانتظار المتجاور
يا حبيبي ..
عندما تحمل في كفيك اعواما كثيره
وتوافيك حكايات ابيك
سوف تلقى رجلا
كان يا طفلي يحب الشعراء
ويحب الحقل والخيل وايام الحصيده
ويحب الاغنيات
ويحب الكلمات (وعلى الارض السلام)
مثلما كان يحبك
قبل ان تاتي الى الدنيا بخطوات عنيده
يا حبيبي
كان يخشى الموت مثلك
ومضى يلقاه في نصف الطريق !
ومضى يلقاه في نفس الطريق !
كان هذا كل شيء
يا حبيبي
(يا مليك الموت لا تدن كثيرا فهو نائم
في انتظار الصحو اذ جاء الصباح
ولتطر فوق الجراح الخضر يا سرب الحمائم
حاملا عطر الندى فوق الجراح
ثم صفق مرتين) .
ـ انهم قد قتلوه !
ـ انهم قد قتلوه !
هنا هنا ياتي الردى من غير لحظات احتضار
ويصير الافق حفره .
صدره الاسمر شقته شظيه
وعلى الشعب تمدد
وتهادت ربة الذكرى بثوب ناصع الطهر تردد
ذكريات الجلزون
وحكايا كفرقاسم
والخيام السود في « البقعة » مرت في الخيال
وتعالت ضجة الموت مع الدبكة خيلا لم تروض :
(كيف كيف يا مهند مالك زعلان
زفيناك بهية طلق الريحان)
وبصمت حمد الله قد اجتاز الرفاق الارون
ضفة النهر وها هم يضربون
ووراء النهر في ليل المعسكر
ولد الطفل نبيها وبهيه
قبلت خديه في المهد وقالت
سأسميه مهند
ثم راحت ترقب الباب انتظارا لحبيب لن يعود

جوقة خلفية متداخلة

زيني بالورد صدره
يا مناقير الحساسين التي ترحل في
صمت السماء
وامسحي الحزن الضبابي عن الوجه
الندى بالدماء
فهو نائم
في انتظار الطفل كي يدعوه للصحو
اذا طل الصباح
ولتطر فوق الجراح الخضر يا سرب الحمائم
ثم صفق مرتين
ثم صفق مرتين

١٠ نيسان ١٩٦٩

• شؤون فلسطينية

اول دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر ست مرات في السنة عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

رئيس التحرير :
الدكتور انيس صايغ
صدر العدد الثالث

الفهم الفلسطيني لهزيمة حزيران . التركيب البنيوي للعنف : خواطر نظرية في المقاومة الفلسطينية . العقيدة الصهيونية في ظل « السلام » . التسوية السياسية والنهوض العربي . الاثار القانونية المترتبة على الصلح مع اسرائيل . الضغوط الاقتصادية الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة . الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة في حرب حزيران . تحرير فلسطين والتحرر العالمي . اوراق بيل الاميركية والصراع حول فلسطين . عامل السرعة والمرونة في الحرب الحديثة ومدى تطبيق جيش العدو لها . الاذاعة البريطانية والصراع العربي الاسرائيلي . ملاحظات اشتراكي اوروبي حول الكيبوتز . اليهود المغاربة واسرائيل . تطور المفهوم الاجتماعي للتعليم لدى وكالة الغوث وتصور اولي لاهداف تخطيط تربوي للشعب العربي الفلسطيني . تغير المناهج الدراسية في الضفة الغربية للاردن بعد ١٩٦٧ . انطباعات موفد خاص الى الضفة الغربية وقطاع غزة . بيان « الرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان والمواطن » .
بالاضافة الى مراجعة احد عشر كتابا حديثا ، وتقارير عن احداث القضية في الشهرين الماضيين فلسطينيا وعربيا ودوليا واسرائيليا .

٢٥٠ صفحة ١ ل.ل.